دراسة ونشر لمجموعة من الخزف الإسلامى محفوظة بمتحف مدينة آزوف للآثار والحفريات بروسيا

د. وليد على محمد محمود *

يعتبر الخزف من أقدم الصناعات التى عرفها الإنسان، وأقرب الفنون التطبيقية إلى روحه، وأوسعها انتشاراً خلال العصور الإسلامية المختلفة، وقد نال الخزف خلال العصر الإسلامي اهتمام العديد من العلماء والباحثين، وذلك لكثرة القطع التي اكتُشِفت أثناء عمليات الحفر والتنقيب، فمن خلاله يمكن استنباط مدى درجة المدنية، وماهية الحضارة التى بلغتها الشعوب فى شتى العصور، ويمكننا الإعتماد عليه في ترتيب مراحل التطور الحضاري والفني، وفي تأريخ طبقات الحفر الأثري، وترتيب الطراز الفني، وقد حققت صناعة الخزف تقدماً كبيراً خلال العصر الإسلامي، فتنوعت منتجاته وتعددت أشكاله وطرق زخرفته وأساليب صناعته، وابتكر المسلمون أنواعاً عديدة منه في مختلف أقطار العالم الإسلامي وخاصة في إيران والعراق ومصر وبلاد الشام وبلاد القوقاز.

وسوف يقوم الباحث بدراسة مجموعة من الخزف تبلغ ثلاثين قطعة تنشر لأول مرة، محفوظة بإحدى أهم وأعرق المتاحف الأثرية فى جنوب روسيا، ويعرف باسم متحف مدينة آزوف للآثار والحفريات، يضم بين أروقته قطعاً أثرية يبلغ عددها ٣٤٠ ألف قطعة متنوعة مابين المنسوجات والمعادن والأسلحة والخزف ... وغيرها، تُمثل حقباً تاريخية متباينة، تم استخراجها أثناء عمليات الحفر والتنقيب فى منطقة آزوف وشمال بلاد القوقاز وما حول نهر الدون وهى المنطقة التى تمثل جنوب روسيا الإتحادية حالياً.

وقد قام الباحث بتصوير هذه المجموعة القيمة داخل المتحف بعد الحصول على التصاريح اللازمة، وقام بقياس أبعادها وأوزانها، واتبع أسلوباً منهجياً فى دراستها تتمثل فى تأريخها وتصنيفها والتعرف على طرزها من خلال طريقة صناعتها وشكلها العام الذى تراوح بين الأطباق والسلطانيات والأباريق، وقراءة ماعليها من كتابات وعبارات وتوقعيات للصناع، وتحليل هذه الكتابات ودراسة أنواع الخطوط، وكذلك دراسة زخارفها التى تباينت بين الزخارف الأدمية والحيوانية والنباتية والهندسية ذات الألوان المتباينة، وأخيراً قام الباحث بإعادة عرض المجموعة داخل المتحف بناءً على التصنيف الجديد، لتصبح المجموعة شاهداً على جمال الفن الزخرفى الإسلامى ومدى ماوصل إليه الخزاف المسلم من إبداع، الأمر الذى يجعلها مادة خصبة وثرية تستدعى الدراسة والتحليل، وهو ماسوف نتطرق إليه بين ثنايا هذا البحث.

---

* المدرس بقسم الآثار الإسلامية بكلية الآثار – جامعة الفيوم – ألقي ملخص البحث ولم يقدم البحث للنشر بكتاب مؤتمر ٢٠١٢ م .